بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح

الحمد لله الذى خص بهذا العلم قوماً هم به قائمون، وجعلهم حفظة لكتابه حيث قال: ﴿إنّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

فلما جزم الله تعالى بحفظ كتابه من عوادى الدهر ونوازله، تكفل لأولى الألباب حفظه تعالى لهذه الطائفة ما بقى كتابه أبد الدهر.

فلا يخلو عصر من مجدد للبلاغة معيد لرونقها يجلو عنها ما علاها من غبرة الأخلاط، ولكنة الاختلاط.

ولقد مرت البلاغة بعصور مزهرة فاح عبيرها وشذاها فى كتب الأوائل، ولا زلنا نتنسم إلى اليوم نسيمها، ونعطر رسائلنا بعرفها وأريجها.

والبلاغة وإن تعددت مناهج الناس فى دراستها، واختلفت وتباينت مسالكهم إليها، فإن لها فى النهاية غاية واحدة، وهى الوقوف على وجوه جمال التعبير، ومعرفة أسرار الجمل والتراكيب.

لقد مرت البلاغة العربية فى مسيرتها بأطوار شتى اختلفت فيها دروب السالكين ومناهجهم وإن اتحد القصد -كما بينا- فتفاوتت تلك المناهج بين الذاتية

والموضوعية وبين الأدبية والتجريدية، والكلامية والمنطقية، وبين الإيجاز والإطناب، الإيجاز الذى قد يصل إلى حدّ التعقيد، ويتسم بجفاف المادة، وقلة الشواهد، وندرة التحليل. والإطناب الذى يبالغ فى الشرح والإفصاح والإكثار من الشواهد والتحليلات كما رأينا عند ابن الأثير والعلوى على سبيل المثال.

كما تنوعت بين الميل إلى التجريد والتعقيد الشديد أو قل: التعقيد كما رأينا عند ابن قدامة وابن سنان والرازى وغيرهم.

وبين إرسال القول على عواهنه وإرخاء الزمام لخواطر العقل، وسوانح الفكر

كما رأينا في مصنفات الأقدمين.

ومنهم من سلك طريقة وسطاً بين العناية بالتحليل ورونق التعبير، وحلاوة المنطق، وفصاحة التعبير وبين التعقيد والتجريد كما فعل عبدالقاهر فى كتابه أسرار البلاغة، غير أنه قد اضطرب الزمام فى يده فى دلائل الإعجاز لانشغاله بالرد على متكلمة زمانه والسابقين عليه.

وبعد هذه المقدمة أقول:

إن لكل مرحلة إذاً طبيعتها من حيث منهج التأليف سواء فى علوم البلاغة أو غيرها من العلوم، وإنه لمن الظلم الواضح البين أن نحاكم مؤلفات القرن الثامن الهجرى وما بعده -حيث شروح التلخيص والمفتاح على كثرتها- إلى المناهج الحديثة فى الدرس البلاغي، فلكل عصر طبيعته ومنهجه.

وينبغى ألا يصدنا ذلك عن الاهتمام بتحقيق تلك المصادر وتنقيحها وإعادة طبعها ونشرها على الوجه العلمى اللائق بها، حيث تبدو أهميتها فى كونها حلقة من حلقات التراث البلاغى الذى إن فقدنا حلقة منه انقطع إسناده إلينا.

وكما ينبغى على راوى الحديث أن يثبت سلسلة الإسناد بكل رواتها دون نظر إلى حالهم من حيث العدالة أو التجريح، فكذلك تقتضى الأمانة العلمية إظهار التراث البلاغى بكل حلقاته كما هى بما فيها من ضعف أو قوة.

وأخيراً نقول: إن هذه المؤلفات قد أثرت تأثيراً كبيراً فى الإنتاج اللاحق بها، ولا يمكن تفسير ذلك الإنتاج وفهمه على وجه الصواب، إلا بعد الاصطبار على تلك المصنفات ومحاولة فهمها واستيعابها مهما لقى الباحث فى سبيل ذلك من معاناة، وبذل من جهد.

وبعد؛ فإننا نستطيع القول إن كتاب التلخيص فى علوم البلاغة يعد من أجمع وأوجز ما صنف فيها؛ حيث عمد مؤلفه القزوينى إلى تلخيص مفتاح العلوم للإمام

السكاكى الذى أودعه خلاصة ما انتهى إليه المتقدمون فى علوم البلاغة وفنونها ومسائلها.

وترجع القيمة العظمى للكتاب إلى ما قام به من لم شعث البلاغة، وجمع ما ندَّ من فروعها وأغصانها فى مكان واحد.

ولا شك أن مهمة الخطيب القزوينى كانت صعبة للغاية، ويزيد من صعوبتها ما اتسم به مفتاح العلوم من الصعوبة والغرابة والإيجاز الشديد، بل الغموض والتعقيد أيضا فى مواضع ليست بالقليلة فى كتابه.

لا جرم أن هذا كله قد انطبع على تلخيص القزوينى بدرجة أشد، لاسيما أنّ الكتاب الأصلى ليس بحاجة إلى الإيجاز والاختصار بقدر ما هو بحاجة إلى الشرح والتحليل وعرض المزيد من الشواهد والنصوص مستوفية حظها من التحليل والدراسة البلاغية التطبيقية التى أعوزت الكتاب فى كثير من المواضع، والتى لم تستطع تلك الشروح التى صنفت على المفتاح القيام بها على كثرتها.

ومع ثبوت هذه الحقيقة، فقد فرضت تلك الشروح التى دونت على التلخيص على الدرس البلاغى، وارتبطت به إلى يومنا هذا.

ولا يزال الدارسون يرجعون إليها طوعًا أو كرها لارتباطها بذلك التراث البلاغى الذى لا يسعنا التنكر له بحال من الأحوال.

ذلك أن الدعوة إلى إصلاح منهج الدرس البلاغى لا تكون برفض هذا القديم والتنكر له، مهما كانت الحالة التى كان عليها من جفاف ومنطقية.... إلخ.

وذلك لأن هذا التراث البلاغى قد أثر فى جوانب التراث الأخرى من تفسير لكتاب الله العزيز، وشروح للحديث النبوى الكريم، وشروح لدواوين الشعر فى مختلف العصور السابقة لهذه الشروح، فضلا عن التأثير الواضح لذلك التراث البلاغى فى الدراسات النقدية والأدبية بعامة، بل إن تأثير ذلك التراث البلاغى قد تعدى ذلك كله

ليؤثر فى جميع العلوم المتعلقة باللسان العربى أو النص العربى من قريب أو بعيد، حيث نرى لذلك التراث البلاغى بصمات واضحة فى علوم اللغة عامة، وفى العلوم المترتبة على المباحث اللغوية أو المنتفعة بها كعلمى أصول الفقه وعلوم القرآن اللذين كان تأثرهما بالدرس البلاغى تأثرا واضحا إلى حد كبير.

كل ذلك يجعل من الرجوع إلى تلك الشروح والإقبال على دراستها ضرورة ملحة لفهم التراث البلاغى بجانبيه النظرى والتطبيقى، ولفهم الإشارات البلاغية فى العلوم الأخرى التى انتفعت بالدرس البلاغى سواء على المستوى النظرى أو التطبيقى.

ولما كان الرجوع إلى تلك الشروح فى صورها التى هى عليها فى طبعاتها العتيقة من الصعوبة بمكان بحيث يمثل مخاطرة كبيرة للباحث لا يأمن فيها أن يضل فى مسالك تلك الشروح ودروبها بحيث يتعثر سيره فيها، فيخرج من درب إلى درب، حيث قد طبعت تلك الشروح مجتمعة مختلطة فى كتاب واحد يجمع المتن الأصلى (التلخيص) وخمسة شروح له، وأحيانا كثيرة يصعب على القارئ أن يتابع النص فى كتاب من هذه الكتب لأنه قد يختلط بغيره من بقية الكتب الستة رغم وضع الفواصل بين تلك الكتب.

حيث تختلط تلك الشروح فى بعض الأحيان أو تزل فيها عين القارئ مع تقارب ألفاظها فينتقل من شرح إلى آخر دون دراية.

ناهيك عن سوء طباعة الكتاب فى نشرته المتداولة، وعدم العناية بترقيمه بعلامات الترقيم الضرورية اللازمة لفهم كلامه والفصل بين جمله وفقاره.

أقول لما كان الرجوع إلى تلك الشروح القديمة بتلك الصورة من السوء والرداءة، قمت بحمد الله تعالى بالعناية بتلك الشروح تحقيقًا وتدقيقًا على النحو الذى يسر القارئ من ضبط النص وتفقيره واستعمال علامات الترقيم وغيرها من جماليات وإمكانات الطباعة الحديثة، وقد وفقنى الله تعالى برعايته ومنه إلى إخراج أهم تلك

الشروح واحدا واحدا مستقلا كل واحد منها عن الآخر فأخرجت الإيضاح وعروس الأفراح ومواهب الفتاح ومختصر السعد وحاشية الدسوقى عليه والأطول والمطول، فضلا عما بدأت به من تحقيق وضبط متن كل من المفتاح والمصباح وتلخيص المفتاح الذى هو أصل تلك الشروح جميعًا.

وبعد هذا الجهد واللأى لم يزل طلبة العلم المبتدئون وثلة من المتخصصين أيضًا يشكون صعوبة مادة هذه الكتب وكثرة تعقيداتها وإطالة حواشيها واتباعها لأساليب المتكلمة والفلاسفة والمناطقة، حتى إن كل شرح من هذه الشروح ليحتاج إلى شرح مثله.

ولما كنت قد أخرجت التلخيص منفردًا، ثم عانيت إخراج شروحه بعده، وقع فى نفسى أن قارئ التلخيص لا يجد فى فهم عبارته ما يلاقى من العناء والكد فى فهم شروحه، ووجدت أن هذه الشروح كلما طالت كلما صعب فهمها وأتت بما يشكل على الباحث المتخصص ناهيك عن الطالب المبتدئ، فوقع فى نفسى أن أخرج شرحًا موجزًا لكتاب التلخيص أشرحه بعبارة معاصرة تقرب ما فيه إلى طلبة العصر، ولا بأس بتضمينه بعض ما سهل ورق من عبارات الشراح التى سبق أن عانيتها من قبل.

فانشرح صدرى لهذه الفكرة، ولاقت من القبول والتشجيع ما حثنى على القيام بهذا الأمر والاعتناء به، فاستخلصت هذا الشرح بحمد الله تعالى ﴿من بين فرث ودم لبنا خالصًا سائغًا للشاربين﴾ والله تعالى أسأل الإخلاص والقبول، والحمد لله رب العالمين.

وكتب

أد/عبدالحميد هنداوي

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن

وتحقيق النصوص ومناهج البحث

بكلية دار العلوم- جامعة القاهرة

ترجمة جلال الدين القزوينى
صاحب " التلخيص"

اسمه ونسبه:

هو محمد بن عبدالرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد بن عبدالكريم بن الحسن بن على ابن إبراهيم بن على بن أحمد بن دلف بن أبى دلف العجلى القزوينى جلال الدين أبوالمعالى بن سعد الدين بن أبى القاسم بن إمام الدين الشافعى العلامة.

ولادته ونشأته:

ولد سنة ست وستين وستمائة ٦٦٦ هـ وسكن الروم مع والده وأخيه واشتغل وتفقه حتى ولى قضاء ناحية بالروم وله دون العشرين، ثم قدم هو وأخوه أيام التتر من بلادهم إلى دمشق.

صفته:

كان فهمًا ذكيًّا مفوهًا حسن الإيراد جميل الذات والهيئة والمكارم، وكان جميل المحاضرة حسن الملتقى حلو العبارة حاد الذهن جيد البحث منصفًا، فيه مع الذكاء والذوق فى الأدب حسن الخط.

وكان جوادًا صرف مال الأوقاف على الفقراء والمحتاجين. وكان مليح الصورة فصيح العبارة كبير الذقن موطأ الأكناف جم الفضيلة يحب الأدب ويحاضر به ويستحضر نكته.

طلبه للعلم ومشايخه:

سمع من العز الفاروتى(١) وطائفة وأخذ عن الأيكى وغيره وخرج له البرزالى جزءًا من حديثه وحدث به وتفقه واشتغل فى الفنون وأتقن الأصول والعربية والمعانى والبيان.

---

(١) كذا فى الدرر الكامنة، وفى بغية الوعاة: الفاروثى، وفى مفتاح السعادة: الفاروقى.

وكان يرغب الناس فى الاشتغال بأصول الفقه وفى المعانى والبيان.

ولى القضاء فى ناحية الروم ثم دمشق ثم مصر ثم دمشق، وخطب بجامع القلعة لما أتى مصر بأمر من السلطان.

قال عنه صاحب كشف الظنون:" المعروف بخطيب دمشق " ولعل هذا سبب شهرته بالخطيب القزوينى، وكان يفتى كثيرًا.

مصنفاته:

قال ابن كثير: "له مصنفات فى المعانى، مصنف مشهور اسمه التلخيص اختصر فيه المفتاح للسكاكى ". وهو من أجل المختصرات فيه كما قال السيوطى. وله: إيضاح التلخيص، والسور المرجانى من شعر الأرجانى.

وفاته:

قال ابن حجر: "قال الذهبى: مات فى منتصف جمادى الأولى سنة ٧٣٩ هـ وشيعه عالم عظيم وكثر التأسف عليه وسيرته تحتمل كراريس وما كل ما يعلم يقال. هذا كلام الذهبى على عادته فى الرمز إلى الحط على من يخشى غائلة التصريح فيه". اهـ كلام ابن حجر.

وقال الحافظ ابن كثير: "دفن بالصوفية.. وكان عمره قريبا من السبعين أو جاوزها"(١).

---

(١) راجع ترجمته فى الدرر الكامنة لابن حجر (٣/٤، ٤)، والبداية والنهاية للحافظ بن كثير (١٨٥/١٤)، وبغية الوعاة للسيوطى (١٥٦/١، ١٥٧)، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده (١/[illegible]) والأعلام (١٩٢/٦)، وكشف الظنون (٤٧٣/١).

كلمة الافتتاح

للخطيب القزويني

الحمدُ لله على ما أنعمْ، وعلَّم من البيان ما لم نعلمْ، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدنا محمدٍ خيرِ مَنْ نطق بالصوابْ، وأفضل من أُتِى الحِكْمةَ وفَصْلَ الخِطابْ، وعلى آله الأطهارْ، وصحابتِه الأخيارْ.

أما بعد:

فلَّما كان علمُ البلاغةِ وتوابِعِها من أجلِّ العلومِ قدرًا؛ وأدَقِّها سرًّا؛ إذْ به تُعْرَفُ دقائقُ العربية وأسرارُهَا، وتُكْشَفُ عن وجوهِ الإعجازِ فى نظمِ القرآن أستارُهَا، وكان القسمُ الثالثُ من "مفْتاح العلوم" الذى صنَّفه الفاضلُ العلاَّمة أبويعقوبَ يوسفُ السَّكَّاكِى – أعظَمَ ما صُنِّفَ فيه من الكتبِ المشهورة نفعًا؛ لكونِه أحسَنَهَا ترتيبًا، وأتمَّها تحريرًا، وأكثَرَها للأصولِ جمعًا، ولكنْ كان غيرَ مصونٍ عن الحَشْوِ والتطويلِ والتعقيدِ؛ قابلاً لِلاختصارِ مفتقرًا إلى الإيضاحِ والتجريدِ -: أَلَّفْتُ مختَصَرًا يتضمَّنُ ما فيه من القواعدِ، ويَشتملُ على ما يُحْتَاجُ إليه من الأمثلة والشواهدِ، ولم آلُ جُهْدًا فى تحقيقِه وتهذيبِهْ؛ ورتَّبْتُهُ ترتيبًا أقرَبَ تناولاً من ترتيبِهْ، ولم أبالِغْ فى اختصارِ لفظِهِ تقريبًا لتعاطِيهْ؛ وطلبًا لتسهيل فَهْمِهِ على طالبِيهْ، وأضفتُ إلى ذلك فوائدَ عثرتُ فى بعض كتب القومِ عليها؛ وزوائدَ لم أظفَرْ فى كلامِ أحدٍ بالتصريحِ بها ولا الإشارةِ إليها، وسميته: "تَلْخيصَ الْمِفتَاحِ".

وأنا أسألُ الله تعالى من فضله أن ينفَعَ به، كما نفَعَ بأصله؛ إنه ولى ذلك، وهو حسبى ونعم الوكيل!